المدارس العربية السريلانكية

بين الماضي والحاضر والمستقبل

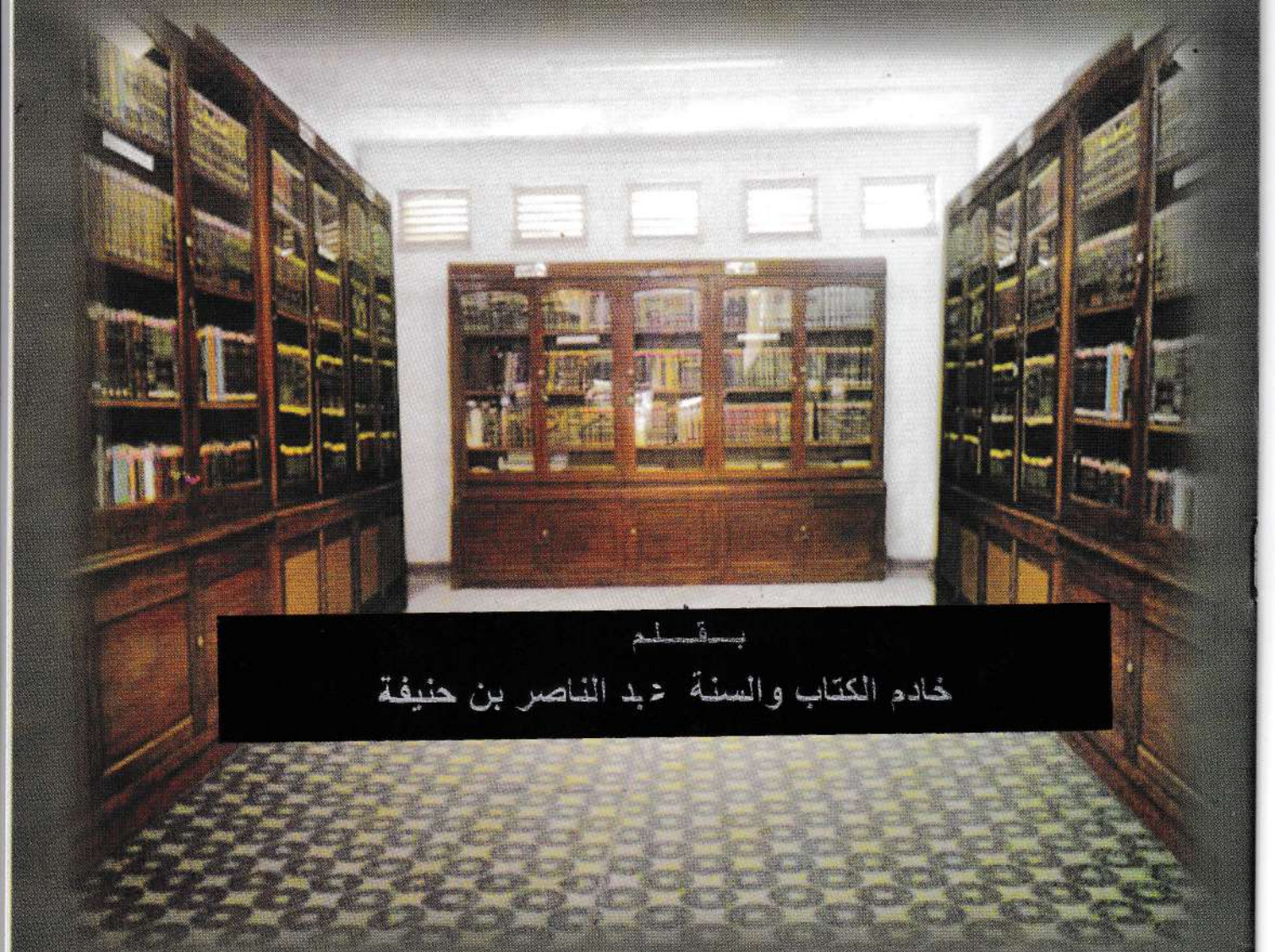

بقلم

خادم الكتاب والسنة عبد الناصر بن حنيفة

نـــدوة الرحـــمـــانـــيـــين

ندوة الرحمانيين عبارة عن هيئة المتخرجين في الجامعة الرحمانية بأكورانا، سريلانكا.

لقد أسست ندوة الرحمانيين في عام ١٩٩٦م لتهدف إلى الاعتناء بمصالح وتقدم الرحمانيين والجامعة الرحمانية. وبفضل الله العلي القدير تقوم هذه المنظمة على قدم وساق بإدارة متينة هادئة ومشـــاركة فعالة من أعضائها البالغ عددهم حاليا مائتين.

وتمضي الندوة الآن قدما متميزة بنشاطات عديدة فاضلة محمودة. ويجدر الإيماء إلى أن كثيرا من برامجها أعجب الناس عامتهم وخاصتهم وأخذ بمجامع قلوبهم وأصبح يتأسى به. ولله الحمد على ذلك.

من بين الأعمال المباركة التي تقوم بها ندوة الرحمانيين طبع ونشر مؤلفات الرحمانيين نشـــرا للوعى الإسلامي وحثا وتشجيعا للرحمانيين على الكتابة والبحث واســـتخراجا لقـــريحتهم وتطويرا لملكتهم وإقامة الدورات التدريبية في مجالات مختلفة لخريجي المدارس الشـــرعية وطلابها لتأهيلهم أكثر وأجود وتنظيم المسابقات في مواضيع متنوعة بين العلماء والطلبة لاكتشاف الدرر الكامنة فيهم ومشـــاركة الجامعة الرحمانية والتعاون والتكاتف مع إدارتها في برامجها المهمة.

تركز الندوة عنايتها حاليا على إنشاء أكاديمية لتنمية مهارات خريجي المدارس الشـــرعية. عسى الله جل وعلا أن ينجزها إنجازا تاما على ما يرام.

مما يوجب علينا شكر ربنا دائما أن جعل منتجات الجامعة الرحمانية أصحـــاب علم وعمل وفكر ودعوة وبحث ودراسة وعزم ودقة وشرف ومكانة، حريصين على العمل الجماعي، راغبين في التشـــاور قبل التعامل والتخطيط قبل التنفيذ، موقنين بالإتقان دون الإنهاء. وهذه كلها - لا ريب - تســـاعد الندوة على القيام بواجبها على الوجه المطلوب.

وللندوة رغبة عظيمة في توسيع نشاطاتها وتكثير برامجها. والله المسؤول أن يحقق أمانيها. وهو ولي ذلك والقادر عليه.

المدارس العربية السريلانكية

بين الماضى والحاضر والمستقبل

بـــقـــلـم

خادم الكتاب والسنة / عبد الناصر بن حنيفة

الناشـــر

ندوة الرحمانيين
أكورانا، سريلانكا

اسم الكتاب: المدارس العربية السريلانكية بين الماضي والحاضر والمستقبل

عدد الصفحات: 31

اللغة: العربية

الطبعة الأولى: 1430/09/08هـ - 2009/08/29م

عدد النسخ: 500

المؤلف: عبد الناصر بن حنيفة

حقوق الطبع: للمؤلف

الناشر: ندوة الرحمانيين
الجامعة الرحمانية
أكورانا، سريلانكا

المطبعة:

سعر الكتاب:

إهـــــداء

أهدي هذا الكتاب إلى

والد علمي فضيلة الأستاذ / محمد جفري بن عبد الغفور – رعاه الله –

الذي نذر حياته لخدمة الدين والعلم

ويشغل منصب مدير الجامعة الرحمانية بأكورانا، سريلانكا حوالى أربعة عقود.

- المـــصـــنـــف

كلـــمـــة الـــنـــاشـــر

الحمد لله الذي من على الإنسان بالعلم والعرفان. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بخير الأديان, وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه بإحسان. أما بعد:

فندوة الرحمانيين سعيدة جدا بالفرصة التي أتيحت لها لطبع ونشر بعض المؤلفات القيمة النافعة التي جاد بها قلم فضيلة الشيخ / عبد الناصر بن حنيفة – حفظه الله –. ومن بينها هذا الكتاب الذي بين يدى القارئ الكريم "المدارس العربية السريلانكية بين الماضي والحاضر والمستقبل".

وهذا الكتاب الفذ الأول من نوعه من ناحية موضوعه يعطي صورة واضحة عن المدارس الشرعية التي تزدان بها جزيرة سريلانكا. ولا شك أن الموضوع الذي جذب عناية المؤلف وبعثه على بذل جهوده الجسيمة وأوقاته النفيسة في الكتابة حوله موضوع مغفول عنه وهو في حد ذاته يهم الجميع عموما والمعنيين بالمدارس الشرعية خصوصا. وهو جهد مبارك جاء في ساعة مناسبة بعد بحث طويل ودراسة عميقة. وقد أجاد فيه المصنف حيث التزم الأمانة والدقة والموضوعية والاستيعاب والفحص والتحليل والتحقيق والتدقيق ووضع الشئ في محله وإعطاء كل ذي حق حقه وحسن التعبير والترتيب. فجزاه الله العلي القدير عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ووفقه لتقديم إنتاجات أكثر في المستقبل.

وللأهمية القصوى التي تحتلها الدراسة عن المدارس الشرعية التي على أرض سريلانكا أقبلت ندوة الرحمانيين على إصدار هذا الكتاب. ويزيدها بهجة وحبورا أن المؤلف عضو من أعضائها وسكرتيرها الحالي. ويشغل منصب رئيس مركز التضامن الروحي بسريلانكا ومنصب الأمين العام لجمعية علماء سريلانكا.

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب، نسأل الله تعالى أن يكتب له النفع العام والقبول التام.

الناشر

28/رجب/1430هـ

22/يوليو/2009م

كلـــمـــة الـــمـــؤلـــف

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. والصلاة والسلام على سيدنا محمد أرسله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا. وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا في سبيل الله جهادا كبيرا. أما بعد:

ففي سنة 1420هـ الموافقة لسنة 2000م أخذت أشعر بحاجة ماسة إلى البحث عن المدارس الشرعية التي يحتضنها بلاد سريلانكا شاملا لجميع جوانبها مقرونا بدراسة تحليلية موضوعية. فاستخرت الله جل ثناؤه. وخضت الميدان. وبعد جد وكد داما أياما توافرت لدى معلومات غزيرة استطعت بها أن أكتب مقالة بحث. وقد تكرمت مجلة "سياحة الأمة" الصادرة من إسلاماباد، باكستان بنشرها مسلسلة في أعدادها الثلاث المتوالية 49 لذي القعدة 1422هـ و50 لذي الحجة 1422هـ و51 محرم وصفر وربيع الأول 1423هـ. وأود في هذه المناسبة أن أسجل شكري الجزيل لأسرة تحرير المجلة على نشر المقالة المذكورة ومقالات أخرى صبتها يراعتي.

لقد أشار على بعض الإخوة الأماثل ممن يعنى بالمدارس الشرعية أن أجعل المقالة المشار إليها كتابا كى تصبح في متناول الجميع ويعم النفع. وها هي ذي بين يدى القارئ العزيز ممحصة ومنقحة ومسايرة ليومنا هذا.

إنني مدين بالشكر لندوة الرحمانيين؛ هيئة المتخرجين في الجامعة الرحمانية بأكورانا، سريلانكا حيث اضطلعت بمهمة طبع ونشر هذا الكتاب وكتب أخرى ألفتها. فكتب الله سبحانه لهذه الهيئة الثبات والاستمرار في خدمة الدين والمجتمع وبارك في نشاطاتها ووفر لها الوسائل والإمكانيات والطاقات. وأخص بالشكر فضيلة الشيخ / منصور علي بن عبد القادر السكرتير المساعد لندوة الرحمانيين؛ إذ هو الذي نهض بالإشراف على عملية التنضيد.

إن الدراسة والبحث والفحص والاستقصاء والتعمق والتحليل والموازنة من جبلتي. وقد وفقني الله عز وجل لأستخدم هذه الصفات للدين والعلم والأدب. وله الحمد كله على ذلك. وهذا العمل الصغير من هذا القبيل.

وأبتهل إلى الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن وينبته نباتا حسنا ويكلل مساعي كلها بالتوفيق والنجاح.

عبد الناصر بن حنيفة

26/رجب/1430هـ

20/يوليو/2009م

الـــمـــحـــتـــويـــات

01. المسلمون في سريلانكا وصلتهم باللغة العربية	01
02. المراحل التي مرت بها المدارس العربية	04
03. المرحلة الابتدائية	04
04. مرحلة الغفورية	04
05. مرحلة المدارس في شرق سريلانكا	05
06. مرحلة المدارس للبنات	05
07. مرحلة توسعة التعليم المدرسى	06
08. مرحلة مدارس الحركات الدعوية	06
09. نظام التعليم المدرسى الراهن	08
10. الأهداف	08
11. الإدارة	09
12. الوضع الاقتصادى	09
13. العام الدراسى والالتحاق	09
14. منهج التعليم	10
15. طريق التدريس	11
16. الشهادة	12
17. المكتبة	12
18. المرافق العامة	12

19. النشاطات 13

20. دور المدارس العربية فى التعليم والتربية 14

21. دور المدارس العربية فى نشر العلوم الشرعية واللغة العربية 15

22. مستقبل المدارس العربية – مشكلات واقتراحات 16

23. الأهداف 16

24. الإدارة 17

25. الوضع الاقتصادى 17

26. الالتحاق 18

27. المنهج الدراسى 18

28. طريق التدريس 21

29. الشهادة 22

30. المكتبة 23

31. المرافق العامة 23

32. النشاطات 24

33. الختام 25

الحمد لله الواحد القهار. والصلاة والسلام على سيدنا محمد المختار، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار آناء الليل وأطراف النهار. أما بعد:

فـ"المدارس العربية السريلانكية بين الماضي والحاضر والمستقبل". ربما يقول قائل: هل هناك حاجة إلى القيام ببحث حول هذا العنوان؟ لو كان الجواب عنه "نعم" فلماذا؟ وكيف؟

نعم، إن للمدارس العربية السريلانكية تاريخا طويلا يرجع إلى السبعينات من القرن التاسع عشر الميلادي كما أن لمسلمي سريلانكا تاريخا طويلا حيث عاشوا فيها أكثر من ألف عام. وللغة العربية علاقة وطيدة بهم، إذ هي لهم لغة مقدسة لأنها لغة الوحيين؛ القرآن والسنة. و لم يتلعثم المؤرخون أن يثبتوا الصلة الوثيقة التي كانت لسريلانكا بالعرب في أوائل القرن الثامن الميلادي.

المسلمون في سريلانكا وصلتهم باللغة العربية

يقول سي. دبليو. نيكولاس (C.W. Nicholas) ويس. باراناويتانا (S. Paranavitana) في "A Concise History of Ceylon ... up to 1505": "المؤرخون العرب قد سجلوا أن ملك سريلانكا في العقد الأول من القرن الثامن الميلادي بعث البنات اليتامى اللاتي مات آباؤهن التجار في بلاده إلى عامل الخلافة الشرقية".

ومن خلال مثل هذه المعلومات الموثوق بها لا يبعد أن نصل إلى نتيجة أن المسلمين الذين استوطنوا سريلانكا لم يقطعوا صلتهم عن بلاد الشرق الأوسط. فيلزم من هذا أنهم لم يزالوا مستخدمين للغة العربية داخل سريلانكا وفي الكتابة. ومن المعلوم أن العربية أو بتعبير أدق العربية السوقية كانت تستعمل في المراسي والنواحي المتاخمة للبحر من إقليم آسيا لأن التجارة البحرية في العصور الوسطى كانت بأيدي العرب.

وعلى إثر الاستعمار الأوربي لسريلانكا ثم البرتغالي ثم الهولندي فقد اللسان العربي مكانته بعد ما كانت الدراسة العربية ناهضة واستعماله سائدا. وعلى الرغم من هذا كله لم يزل هيكله الأساسي باقيا إلى الجانب الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. يقول سير الكسندر جونستن (Sir Alexander Johnston) القاضي الرئيسي السريلانكي في السنين الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي عن مسلمي سريلانكا في أوانه وقد كان راغبا في تاريخ المجتمعات المتعددة التي عاشت في سريلانكا.

"هم شافعيو المذهب. وكتابهم الذي تضمن التعاليم الدينية المختصرة من القرآن سمي "عمدة". وصنفه بالعربية علامة من بلاد العرب. وقد قام بزيارة لسريلانكا في أواخر القرن الثاني عشر. والقوانين الفقهية التي يتبعونها غالبا مذكورة في كتاب يدعى "أملي" (تصحيف في ذكر المحلي الذي هو شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين للنووي). وهذا الكتاب مؤلف كله في اللسان العربي. متنه في العربية العتيقة التي على نهجها القرآن وشروحه في العربية الحديثة. قوانينهم الزواجية والإرثية التي ظلت بين العرب الذين كانوا تحت سلطة الخليفة البغدادي في عصر آبائهم وصلتهم من بلاد العرب.

في حين استفسار القضية المرتبطة بالقوانين الزواجية والميراثية بين المحمديين السريلانكيين كانوا يشيرون على إرشادا لي إلى الملحوظات التي كانت معهم عن القرارات التي أصدرها القضاة في بغداد وقرطبة حول القضايا التي تماثلها. وكانت هذه القرارات تتبع مثل القوانين بين المحمديين السريلانكيين سبعمائة أو ثمانمائة عام".

هكذا حى اللسان العربي على أرض سريلانكا حتى يصل علماءها في القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن ميدانه ظل ضيقا و لم يتداوله أغلبية المسلمين و لم يستخدمه من استخدمه منهم إلا لأنهم افتقروا إليه في الأغراض الحكمية. وعندما تطور الأجزاء التابعة للحكومة وسلطة الإدارة على إثر ذلك انحطت اللغة العربية درجة أخرى.

وينتج من هذا كله شئ آخر. وذلك أن مسلمي سريلانكا كانت لهم علاقة لا بأس بها بدينهم الحنيف، إذ بقيت العربية على هيكلها الأساسي ولو بعد الاستعمارات المتوالية لسريلانكا مما يدل على أنها لم تبق إلا للأغراض القانونية الفقهية لا العلاقة التجارية، بيد أن معالم الدين كانت خفية في غالب الأحيان مخافة المسلمين من المستعمرين حتى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

وفي الستينات من القرن التاسع عشر الميلادي لقي الدين الإسلامي صحوة عقب الصحوة التي شهدها الإسلام في القطر الشقيق المجاور الهند. وقد أنشئت المدارس في شبه القارة الهندية لتعليم الشريعة والعربية في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وسافر طلبة سريلانكا إليها وتلقوا العلوم الشرعية والعربية في تلك المدارس مما يشير إلى أن نشاطهم الديني الذي كان خابيا لمدة طويلة تعرضا للاستعمارات أخذ ينير مرة أخرى.

الصحوة الإسلامية في سريلانكا تبعت الصحوة الإسلامية في الهند. فتوطدت علاقة مسلمي سريلانكا بالمسلمين في الهند. وقام علماء الهند وشيوخها الذين تخرجوا في مدارسها العربية بدور فعال في استنهاض همم المسلمين هنا. وقاموا بتأسيس المساجد والزاويات والتكايا والمدارس العربية كما عملوا أئمة وخطباء في الجوامع ومديرين ومدرسين في المدارس. وساعدهم أغنياء المسلمين في سريلانكا على إنشاء المدارس وبناء المساجد والزاويات والتكايا.

وأول بزرة بذرت في تاريخ المدارس العربية بسريلانكا هي الزاوية المكية الفاسية الشاذلية بتالابيتيا (Thalapitia)، جالي (Galle). وقد أسست هذه المدرسة في عام 1870م كما عقبتها مدارس عربية أخرى في أرجاء سريلانكا.

المراحل التي مرت بها المدارس العربية

ويجدر بنا أن نقسم المراحل التي مرت بها المدارس العربية هنا على النحو الذي درج عليه الشيخ يو. يل. عليار (U.L. Aliyar) في تقسيمها في الأطروحة التي قدمها لجامعة جافنا (Jaffna) بسريلانكا لنيل شهادة الماجستير تحت عنوان "نشأة وتطور نظام التعليم المدرسي في سريلانكا". وهي كما يلي:

أ) المرحلة الابتدائية (من عام 1870م إلى عام 1925م)
ب) مرحلة الغفورية (من سنة 1931م إلى سنة 1950م)
ج) مرحلة المدارس في شرق سريلانكا (من عام 1954م إلى عام 1956م)
د) مرحلة المدارس للبنات (سنة 1959م)
ه) مرحلة توسعة التعليم المدرسي (من سنة 1960م إلى سنة 1970م)
و) مرحلة مدارس الحركات الدعوية (بعد عام 1970م)

المرحلة الابتدائية (من عام 1870م إلى عام 1925م)

فترة ما بين سنة 1870م وسنة 1925م تعد الطور الابتدائي للمدارس العربية السريلانكية. ويرجع الفضل في إنشائها وتطويرها إلى علماء جنوب الهند. وكان هدفهم من وراء ذلك إقامة الطرائق التي تنتمي إلى العلماء الأجلاء مثل عبد القادر الجيلاني وأبي الحسن الشاذلي والشيخ خواجة معين الدين في سريلانكا. وقد عمل معهم أغنياء سريلانكا متكاتفين في هذا الجهد. ووقفوا على المدارس العقارات كي تستغلها.

وفي هذه المرحلة أسست عشر مدارس. وكانت هذه المدارس معنية بتخريج علماء ذوي كفاءة لتشهير مشايخ الطرائق وأقطابها ونشرها. كيفما كان الحال، قامت هذه المدارس بدور مرموق في التعليم الديني وإيقاظ المسلمين في الجزيرة من رقدتهم التي طال أمدها.

مرحلة الغفورية (من عام 1931م إلى عام 1950م)

لا مبالغة إذا قلنا إن تأسيس الكلية الغفورية نقطة تحول في تاريخ المدارس العربية بسريلانكا. ولها دور عظيم في إدخال التعديلات على النظام التقليدي الذي كانت المدارس آنذاك تتبعه مسايرة للتقدم العلمي الحديث.

وقد كان خلف هذا الدور المركزي الذي قامت به الغفورية المؤسسة في عام 1931م في ماهاراجاما (Maharagama) العالم البارع محمد عمر الهندي الذي تولى مديريتها سنة 1938م. وقد أدمج تعديلات في المنهج الدراسي النظامي المتبع في المدارس العربية الهندية والذي أدخله علماء الهند في المدارس السريلانكية نظرا إلى التغيرات المجتمعية والاقتصادية والتقنية كما حافظ في التعديل على الشخصية الإسلامية. و لم يمض الأستاذ محمد عمر قدما إلى هذا العمل الجبار إلا رغبة في إيجاد علماء قادرين على نشر الوعى الإسلامي قابلين للتغييرات التي يشهدها العالم محافظين على الشخصية الإسلامية. وغير بعض المقررات في المنهج الدراسي وعرف منهج تعليم يستغرق مدته ثماني سنوات.

والجدير بالذكر أنه لم ينشأ في هذا الطور إلا مدرسة واحدة سوى الغفورية. وهي جامعة الفتاح العربية التي أسست في جالهينا (Galhinna)، كاندي (Kandy) سنة 1949م. وهذه أول مدرسة في الناحية الجبلية.

مرحلة المدارس في شرق سريلانكا (من عام 1954م إلى عام 1956م)

ولا غرو أن هذه المرحلة هي مرحلة المدارس في شرق سريلانكا. إذ لم تطلع مدرسة فيما بين سنة 1950م وسنة 1959م في سريلانكا إلا في شرقها.

وقد دعت الضرورة إلى إنشاء المدارس في الشرق لأن الطلبة الراغبين في العلم الديني واللغة العربية ما كان لهم إلا أن يلتحقوا بالمدارس في المدن البعيدة مثل جالي (Galle) وويليجاما (Weligama) وماهاراجاما (Maharagama) وبوتالام (Puttalam) أو ينضموا إلى المدارس بالقطر المجاور الهند. وكذلك الشعور نحو التعليم الديني ساد المسلمين في الشرق. فقاموا بتأسيس المدارس هنالك. وفي هذا الطور ظهرت ثلاث مدارس في الشرق.

مرحلة المدارس للبنات (سنة 1959م)

ابتداء من عام 1870م إلى عام 1959م قامت المدارس كلها بتقديم خدماتها القيمة نحو الطلاب دون الطالبات اللاتي هن عين المجتمع. وقد لفت هذا نظر المعنيين بالتعليم والتربية والإصلاح. فاستعدوا لهذه العملية.

ونتيجة جهودهم المشكورة الكلية العربية للبنات المسلمات التي تم تأسيسها في كاليليا (Kal-eliya) عام 1959م. وتبعتها مدرسة للبنات في أراكيالا (Arakyala) سنة 1961م وأخرى في كاتانكودي (Kattankudy).

ومن أجل أن الجهود بذلت في تأسيس المدارس للطالبات في هذه الحقبة حري بنا أن ندعوها مرحلة المدارس للبنات.

مرحلة توسعة التعليم المدرسي (من عام 1960م إلى عام 1970م)

أقبلت الستينات. وقد شهدت هذه الفترة طلوع مدارس كثيرة في أنحاء سريلانكا. والسبب في هذا يعود إلى القرار الذي أصدرته الحكومة في سنة 1959م من أن شهادات المدارس العربية السريلانكية فقط مقبولة لتعيين مدرسي العربية في المدارس الحكومية. وقد حل تعيين مدرسي العربية للمدارس الحكومية محل التنفيذ ابتداء من عام 1938م.

وعلى الرغم من وجود المدارس العربية هنا لم يبرح الطلاب يقطعون البحر ويتلقون في المدارس العربية الهندية. وعندما صدر القرار الجديد من الحكومة اضطر الطلاب إلى أخذ العلوم من المدارس السريلانكية. وقد أدى هذا إلى ازدياد المدارس. وفي هذا العقد نشأ زهاء ثماني مدارس في أنحاء مختلفة في سريلانكا.

وعلى إثر تعريف الحكومة بـ"الاختبار التمهيدي المدرسي" في سنة 1964م (ثم بدل بـ"اختبار العالم التمهيدي" في عام 1966م) وجعله مؤهلا لتعيين مدرسي العربية للمدارس الحكومية ألجئت المدارس العربية إلى توسيع منهج تعليمها وإدراج الدروس المقررة لاختبار العالم التمهيدي فيه. وليس بمستغرب أن نعتبر هذه المرحلة مرحلة توسعة التعليم المدرسي.

مرحلة مدارس الحركات الدعوية (بعد سنة 1970م)

ولا يخفى على أحد أن المجتمع الإسلامي في سريلانكا شهد نهضة شاملة يرجع فضلها إلى حركة التبليغ التي انتشرت وتوسعت نشاطاتها في السبعينات في جميع أرجاء جزيرة سريلانكا. ورغب أهل الحل

والعقد في إيجاد علماء يجمعون بين العلم والعمل والنظرية والتطبيق. ودفعتهم هذه الرغبة إلى إنشـــاء مـــدارس غزيرة في نواح مختلفة.

وفي السبعينات فحسب أسس إحدى عشرة مدرسة. ووليتها الثمانينات. فـــازدادت المـــدارس. وفي الثمانينات قامت حركة الجماعة الإسلامية وحركة جمعية أنصار السنة المحمدية بإنشاء المدارس احتذاء مثـــال حركة التبليغ إضافة إلى المدارس التي أسست في الثمانينات. وهكذا جاوز عدد المدارس المنشأة في هذه المرحلة أربعين. وهذا كله مغبة الجهود الفخمة التي تبذلها الحركات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية هنا.

ومن المؤسف جدا أن الفرق الضالة الهدامة مثل الشيعة أيضا أسست مدارس عربية لها في بعض نواحي سريلانكا في هذه المرحلة.

نـظـام الـتـعـلـيم المـدرسـي الـراهـن

يعنى بالتعليم المدرسي تدريس وتدريب الحريصين من الطلاب والطالبات على التعليم الديني في البيئة الإسلامية أربعا وعشرين ساعة مع توفير الوسائل التعليمية.

وسيرا على هذا التعريف للتعليم المدرسي تتمتع أرض سريلانكا الآن بأكثر من مائة مدرسة عربية تؤدي واجباتها نحو الشريعة الغراء. وكلها أهلية وليست بتابعة لحكومة ولا لحزب سياسي. ومعظمها مسجلة في مصلحة الشؤون الدينية والثقافية بكولومبو. ومن بينها مدارس قليلة للبنات.

وبالجملة جميع المدارس متحدة في نظامها ونشاطاتها. فيحسن بنا أن نلقي نظرة إلى نظام التعليم المدرسي الحالي على النحو التالي:

.01	الأهداف	.06	طريق التدريس
.02	الإدارة	.07	الشهادة
.03	الوضع الاقتصادي	.08	المكتبة
.04	العام الدراسي والالتحاق	.09	المرافق العامة
.05	المنهج الدراسي	.10	النشاطات

الأهـــــــداف

جميع المدارس لها أهدافها الآتية على الإطلاق:

أ) تنمية البحث في علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية

ب) تبصير المسلمين للشريعة السمحة

ج) إعداد جيل مثقف على أساس متين من الكتاب والسنة يسعى في إيقاظ الأمة من سباتها العميق ويدعو إلى الله على بصيرة ووعى

د) إعداد دعاة ومعلمين يجيدون اللغة العربية

الإدارة

بناء على أن المدارس العربية أهلية، لكل منها مجلس إدارة مستقل يختلف عدد أعضائه باختلاف المدارس. ويقوم الإدارة بإدارة المعهد العامة والمالية والاهتمام بالأوقاف وتعيين المدير والمدرسين والخدم. والمدير هو الذي ينهض بالإدارة الداخلية من التعليم والتربية والامتحان وإلحاق الطلاب والوجبات ومصالح الأساتذة والطلبة وما إلى ذلك.

الـوضـع الاقـتـصـادي

وضع المدارس الاقتصادي يختلف باختلاف المدارس. فيحظى بعضها بموارد عظيمة بينما لا يملك معظمها إلا موردا لا يستطيع أن يساعدها في التوفيق بين دخلها ونفقتها. والموارد متنوعة. فلبعض المدارس أوقاف تغتلها. ويعتمد بعضها بعد ما اعتمدت على الله سبحانه على التبرعات التي يتقدم بها أعضاء مجلس إدارتها وبعض المحسنين شهريا أو سنويا. ولا يؤخذ من الطلبة إلا رسم رمزي.

ويجدر الإيماء إلى أن بعض المحسنين من البلاد الإسلامية قاموا ويقومون بتقديم تبرعاتهم لبعض المدارس الفينة بعد الأخرى. وفي طليعتهم المرحوم الشيخ / منصور الزامل من المملكة العربية السعودية. وهو صفحة مشرقة في تاريخ مدارس سريلانكا حيث ابتل معظمها في وابل إحسانه. فجزى الله العلي القدير جميع المحسنين عن الإسلام والمسلمين خيرا.

الـعـام الـدراسـي والالـتـحـاق

يبتدئ العام الدراسي في المدارس من شهر شوال وينتهي بشهر رمضان المبارك كل سنة. ويتخلله ثلاث عطل؛ عطلة عيد الأضحى وعطلة ربيع الثاني وعطلة رمضان.

وتطلب المدارس الطلبات للالتحاق من الطلاب المسلمين في سريلانكا كل عام بنشر إعلان عام في الصحف كما تعلن عبر الراديو. وبعد الفحص عن الطلبات الواردة بدقة وأمانة تطالب الطلبة الجدراء بالحضور لمقابلة شخصية واختبار دخول. ثم تختار صفوتهم. وهنالك مؤهلات أساسية تشترط المدارس أن تتوافر لدى الطالب. وتشترك المدارس في كلها إلا مؤهلين:

المؤهلات الأساسية المشتركة:

أ) أن يكون التلميذ مسلما

ب) أن يكون قادرا على إجادة تلاوة القرآن الكريم

ج) أن يكون مستعدا لاتباع سبيل الدين الأقوم

د) أن يكون مستعدا لارتداء البزة الرسمية للمعهد

المؤهلات الأساسية غير المشتركة:

أ) أن يكون عمر التلميذ كذا

ب) أن يكون دارسا في المدرسة الحكومية في سنة كذا

وفي الحقيقة المؤهل الأساسي الأول غير المشترك مندرج في المؤهل الثاني غير المشترك. وبعض المدارس تشترط أن يكون الطالب مجتازا للسنة السادسة للدراسة في قسم تحفيظ القرآن الكريم كما تشترط أن يكون مجتازا للسنة الثامنة للدراسة في قسم الشريعة واللغة العربية بينما يشترط بعضها أن يكون مجتازا للسنة التاسعة ويشترط بعضها أن يكون مجتازا لاختبار شهادة التعليم العامة (المستوى العادي). وهناك مدارس لا تلتزم تحديد عمر التلميذ ولا العام الذي درس فيه أخيرا في المدرسة الحكومية.

منهج التعليم

تعتني المدارس العربية بتدريس علوم الشريعة واللغة العربية بينما تهتم بعضها بتدريس هذه العلوم وتحفيظ القرآن الحكيم معا.

المنهج الدراسي في قسم تحفيظ القرآن المجيد يستغرق ثلاث سنوات يتمكن فيها الطالب مع استظهار القرآن الكريم كله من دراسة علم التجويد وجانب من العلوم الدينية الضرورية.

أما المنهج الدراسي في قسم الشريعة واللغة العربية فمدته سبع سنين في معظم المدارس وثمان سنين في بعضها . ويدرس خلال هذه المدة من المنقولات والمعقولات ما يلي:

.01	التجويد	.10	الأديان والفرق	.19	العلوم
.02	التفسير	.11	التربية الإسلامية	.20	الحساب
.03	علوم القرآن	.12	السيرة والتاريخ	.21	العلوم الاجتماعية
.04	الحديث	.13	اللغة العربية	.22	اللغة الإنجليزية
.05	علوم الحديث	.14	الأدب العربي	.23	اللغة السنهالية
.06	الفقه	.15	البلاغة	.24	اللغة التاملية
.07	أصول الفقه	.16	العروض والقافية	.25	مناهج البحث
.08	الميراث	.17	المنطق	.26	الفلك
.09	العقيدة	.18	الخط والإملاء		

المقررات المتداولة في منهج التعليم عربية. ومعظمها مؤلفة على الطراز القديم. وقد صنف بعضها قبل قرون. وليس يخفى على أحد أن المعلومات المقتبسة من هذه المقررات لا تخلو عن قدمها. وهناك مع الأسف كتب تحتل مكانة مرموقة في منهجها الدراسي تستعمل مقررات، ولكنها لا تنتظم موضوعاتها وفصولها ولا تتدرج معلوماتها من السهل إلى الصعب ولا تترتب جزئياتها ترتبا متقنا منسقا وأسلوبها غير واضح في أداء المعنى المقصود مما ينفر التلميذ عن قراءتها ويحرمه الاستفادة منها.

أما بالنسبة إلى المواد العامة مثل العلوم والحساب والعلوم الاجتماعية واللغات المهمة الإنكليزية والسنهالية والتاملية فالحالة مؤسفة جدا. ولا يزود الطلبة بالمعارف العامة. وتتغاضى المدارس عن هذا الوضع.

ومن الممكن أن نستثني بعض المعاهد من هذا، إذ هي تعتني بتعريف المقررات الحديثة في منهجها الدراسي كما تهتم بتدريس طلابها المواد العامة التي ضرب عنها معظم المدارس صفحا وتعدهم لأداء الامتحانات العامة الحكومية، ولكن لا على المستوى المطلوب الذي نطمئن به على مستقبل هؤلاء الطلبة الذين تقع على عواتقهم مسؤولية تبصير الناس وتوجيههم.

طريق التدريس

تتبع المدارس العربية في التدريس الطريق القديم حيث يقرأ الطالب ما في المقرر مع الأستاذ ويترجمه باللغة الأهلية. وليس هناك شرح ولا تعليق من الأستاذ. ولا يستعمل أدوات التعليم الموجودة لديه كالسبورة

والطبشورة إلا قليلا فضلا عن وسائل التعليم الحديثة. وأما التمرين والواجب المترلي والمناقشة الفئوية فبعيدة عنها المدارس. والمدرسون فيها غير مدربين. وليس لديهم خطة عملية ولا ملحوظات دراسية.

وبالجملة طريق التدريس المتبعة حاليا في المدارس قديمة جدا، خاصة بعد أن لقي العالم التعليمي تغيرات عديدة في طريق التدريس حيث يفهم التلامذة بسهولة ويسر ويحصلون على معلومات غزيرة في مدة قصيرة. والعملية التعليمية الحالية في المدارس لا تراعي المستوى الذهني للطلاب وتنمية قدراتهم العقلية والنفسية والجسمية بما يوجهها توجيها سديدا إلى الرشاد والخير.

الشهادة

أما الطلبة الذين يتخرجون في المدارس فيمنحون شهادة المولوي أو الشيخ التي تعبر عن العلوم التي درسوها فيها مؤرخة بتاريخ التخرج مشتملة على توقيعي المدير ورئيس مجلس الإدارة. وهذه الشهادة محررة في العربية مع نقلها إلى الإنكليزية كما تحتوي على وسام المعهد.

المكتبة

بعض المدارس خالية عن المكتبة بينما تشتمل بعضها على مكتبة صغيرة غير وافية بحاجات الطلاب. وكل من هذه المكاتب لا تجد فيه إلا مجموعة كتب ورسائل يتراوح عددها بين 1000 و3000. وبعض هذه الكتب مؤلفات القدامى بطبعات قديمة جدا حتى أن بعض الكتب تكاد تتمزق وبعضها تكاد تذهب ريحها.

وليس في هذه المكاتب من الكتب والرسائل ما كتب أخيرا مما يحتوي معلومات وبحوثا حديثة قيمة تزيد القارئ بسطة في العلم. وكذلك لا تلقي المدارس بالها إلى تزويد المكاتب التي لديها بالصحف والمجلات التي هي أسرع من الكتب في نقل المعلومات الجديدة.

المرافق العامة

لو زرت مدرسة عربية في سريلانكا لوجدتها مع مبنى يحوي مسجدا وحجرات فصول ومهجعا ومطعما ومطبخا وغرفا للأساتذة إحداها تستعمل مكتبا في نفس الوقت. ولا ترى فيها ملعبا خاصا ولا مبنى

خاصا للمكتبة. ولا تلفي المسجد والمكتب وحجرات الفصول والمهجع والمطعم والغرف على حدة مما يترتب عليه أضرار صحية ونفسية.

النشاطات

الجدير بالذكر أن للمدارس العربية نشاطات داخلية تنمي التلامذة فنيا وأدبيا منها إقامة مجالس ندوة الطلبة أسبوعيا أو مرة في أسبوعين أو شهريا. وفي هذه المجالس تنظم برامج عديدة نحو الخطابة في المواضيع العامة وتفسير الآيات القرآنية وشرح الأحاديث النبوية وترجمة الأعلام وإنشاد القصائد والأغنية وتلاوة القرآن الكريم والمسابقات في العلوم الشرعية والمعارف العامة. ولاشك أن هذه المجالس تقوم بدور فعال في تنمية قدرتهم على الاشتراك في المسابقات الوطنية والعالمية وإظهار موهبتهم فيها.

وليس هنالك منكر أن للمدارس الشرعية في سريلانكا دورا جسيما في التربية والتعليم منذ إنشائها إلى يومنا هذا حيث أنجبت العلماء ذوي الكفاءة والأخلاق الكريمة والفضل والتقى والصيت والشهرة. والعلماء المتخرجون في المدارس بدون شك جامعون بين العلم والخلق. وقد شهدته الجزيرة وأقرت به بخلاف العلماء الماديين. وبكل حق يمكن المدارس العربية أن تفتخر بهذا العمل الجليل الذي قامت به.

والنهضة الإسلامية التي شهدتها سريلانكا ولا تزال تشهدها نهضة علمية وراءها علماء مباشرة أو غير مباشرة. اذهب إلى المدارس الحكومية تر فيها خريجي المدارس مدرسين فيها. وانطلق إلى المساجد تلق فيها متخرجي المدارس أئمة وخطباء. وهلم إلى المدارس العربية نفسها تجد مديريها وأساتذتها خريجي المدارس. وامش إلى الجامعات المحلية تر خريجي المدارس أساتذة هناك. وكذلك خريجو المدارس يزينون مناصب مهمة في المكاتب والمصلحات الحكومية وغير الحكومية داخليا وخارجيا. وبعض خريجي المدارس يعملون مدرسين وأساتذة في بعض المدارس والجامعات الخارجية.

الآن تعال معي إلى الحركات الإسلامية الدعوية التي ساهمت في الصحوة الإسلامية الجديدة، وفكر لحظة فيمن يتزعمها أو يوجهها لا تلفهم إلا علماء من إنتاجات المدارس. وتحت زعامتهم تسير هذه الحركات على توجيهاتهم الرشيدة وإرشاداتهم المفيدة.

حقا لقد أوجدت المدارس العربية جيلا مثقفا على أساس متين من الكتاب والسنة يجمع بين العلم والعمل. ولو لم يكن مسلحا بالعلوم الكافية ومحلى بالتربية الشافية لما استطاع أن يساهم في النهضة الدينية الحديثة ولا أن يترأس الحركات الدعوية. وأى شئ بعد هذا؟ فدور المدارس في التعليم والتربية واضح وضوح الشمس في منتصف النهار.

لا يخفى على أحد أن العلوم الشرعية والعربية إن حيت لم تحى إلا باهتمام بالغ من المدارس العربية. وحين سلطنا الأضواء على العلوم التي تدرس في المدارس اتضح لنا أن علوم الشريعة واللغة العربية تحتل في منهج تعليمها مكانة فائقة. وكثرة عدد المدارس يوما بعد يوم لا تومئ إلا إلى تضاعف عملية نشر هذه العلوم واتساع نطاقها بجهود ضخمة يبذلها المتخرجون فيها.

وكذلك تقوم بعض المدارس بالبحث في العلوم القديمة والحديثة حيث تلزم كل طالب في السنة النهائية بتقديم أطروحة حول موضوع علمي مما يشير إلى اتساع دائرة البحث في العلوم يوما بعد يوم.

والعلماء الذين أنتجتهم هذه المدارس لم يتلعثموا عن نشر هذه العلوم. وبالعمل في حقل التدريس وميدان الدعوة ينشرونها ويبحثون فيها ويصلون إلى نتائج جديدة ويوجدون حلولا للمشاكل العصرية ويؤلفون الكتب والرسائل في العربية والسنهالية والتاملية والإنكليزية. وكذلك لم يهملوا واجبهم في ترجمة الكتب والرسائل القديمة والحديثة باللغة المحلية مما يدل على عظم توقيرهم وجم احترامهم لعلماء العالم العربي واعترافهم بفضلهم واعتنائهم بنشر ما وصلوا إليه من قرارات وحلول من خلال بحوثهم. ولو خضنا في إعداد قائمة مؤلفاتهم لاستطالت استطالة الحائط الكبير الصيني.

ويجدر بنا أن نرمز إلى حقيقة أخرى تتعلق بهذا. وهي أن المجلات الصادرة في العالم العربي فتحت لبعض علماء سريلانكا صفحات حيث يكتبون فيها دوريا. وهذا خير دليل على أن المدارس تولي اللغة العربية اهتماما كبيرا وتعلمها تلامذتها كلغة حية حتى تخلق فيهم قريحة تبلغ بهم مبلغ الكتابة والتأليف فيها نثرا وشعرا.

نحن الآن في الألفية الثالثة في مستهل القرن الحادي والعشرين. وأصبح العالم كله قرية. وبلغت العلوم والتقنية قمتيهما. وازدادت النشاطات العلمية. وبالعكس تضاءلت النشاطات الإسلامية. وضعفت الاعتقادات الدينية. وجمد الفكر الديني. وابتعد الناس عن أهداف الحياة النبيلة وصاروا مثل سفينة عديمة البوصلة. ويسودهم الإلحاد والعلمانية. وأصبحت المادية تسيطر عليهم. وانتشرت الشرور. وكثر أتباع الضلالة ودعاتها. واتخذ إبليس عرشا في نفوس الناس. فصارت مهمة توجيه الناس وإرشادهم إلى أغراضهم الصحيحة من الحياة وتصحيح أفكارهم الخاطئة ضربة لازب وضرورية الساعة.

وهنا يأتي رسالة المدارس الغربية في طليعة الأمر. ولكن هنالك سؤال طبيعي في نفوس المثقفين. وهو هل هذه المدارس التي جاوز عددها المائة متهيئة لتنشئة الجيل الناشئ مزودا بالمعارف الكافية قادرا على مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين الطالع الآن. أجل، سؤال لا يتهاون به أو لا يغض البصر عنه، إذ المدارس في حاجة ماسة إلى تهذيبها في كل جانب كي تقوم بدورها في التربية والتعليم خير قيام وتجني الأمة الإسلامية منها ثمارا يانعة.

فدعت الضرورة إلى التوسعة في أهداف المدارس والتغيير في النظام الإداري واتخاذ الترتيبات اللازمة لتوفير المالية وخطة جلية ثابتة في التحاق الطلاب وإدخال التعديل على منهج التعليم وتهذيب طريق التدريس والتوسيع في النشاطات والمكتبة والمرافق العامة.

فلنحاول الآن أن نسلط الأضواء على ما تواجهه المدارس العربية من مشكلات تعوقها عن أداء واجبها على الوجه الأكمل في النواحي المشار إليها آنفا ونقدم اقتراحات لحل هذه المشاكل المستعصية راجين أن تكون الاقتراحات ذرائع يتذرع بها إلى تهذيب المدارس الشرعية.

الأهداف

الزمان يتغير. والمجتمع يتغير. والأوضاع تتغير. فالمدارس مضطرة إلى توسيع أهدافها كي تقوم بمهمتها نحو التعليم والتربية على المستوى المطلوب المفضي إلى تخريج طلابها علماء ذوي ملكة قادرة على مسايرة الأحداث المستجدة علميا وفكريا.

والذى يؤسف المثقفين جميعا هو أن المدارس لا تتوسع في أهدافها ولا تقبل أهدافا جديدة. بل تعتمد على أهدافها التي مرت عليها سنون. والأسف فوق الأسف أن هناك مدارس ليس لها هدف البتة. ولو سألت مديريها أو من ينتسب إليها إلى أى هدف يرمون من وراء إجراء مدارسهم أو أى شئ ينتظرون من ورائه لكان جوابهم السكوت.

فعلى القائمين بالمدارس أن يهتموا بتوسعة أهدافها ويعملوا بجد على تحقيقها. ومن خلال هذا يصلون إلى تحقيق وتحديد نطاق التعليم في مدارسهم ومدى تخريج طلابها كما يصلون إلى تحديد الوسائل التي تساعدهم على بلوغ أهدافهم.

الإدارة

لو بحثت عن إدارة المدارس العربية لألفيتها غير محكمة، لأنها تسير على أهداف قصيرة المدى وخاضعة لسلطة من يقوم بالإنفاق عليها أو تستمر إدارتها في أيدي البعض لفترة طويلة دون أن تقبل التبديل أو التوسعة. وهذا كله يؤدي إلى اختلال الإدارة على مر الأيام. وربما يسبب إغلاق المدرسة حتى بابها الرئيسي. ولو قبلت الإدارة التغيير في أعضائها لرأت نشاطا جديدا وتحولا في أفكارها. وصينت المالية عما يشوبها.

وكذلك من الضروري أن يتصف أعضاء مجلس الإدارة بالتقوى والإخلاص والعلم والأمانة وحسن الخلق وحسن التدبير والتفكير وقبول التغييرات الحديثة مالم تعارض الشريعة.

ولا بد أن يكون لدى مجلس الإدارة إدارة محددة بدقة. ويلزم أن يقودهم دستور يحدد دائرة الإدارة وكيفيتها ومهماتها وما إلى ذلك حتى لا يتورط المجلس فيما لا يحمد عقباه.

ومن السهل أن ينهض السكرتير بالإدارة العامة والمدير بالنشاطات التعليمية. وكلاهما مجيبان لمجلس الإدارة عما يقومان به من الأعمال بصفتهما الرسمية.

الوضع الاقتصادي

من المعلوم جيدا أن المدارس العربية ليس لمعظمها مالية وطيدة ولا مورد دخل ثابت. ويترتب على ذلك قلة التسهيلات من حجرات الدراسة والمهاجع والمكتبة كما حدث لبعض المدارس التي عانت الأزمة الاقتصادية أن تقفل بكليتها.

فعلى القائمين بالإدارة أن يعتنوا بالمالية ويفحصوا عن موارد الدخل الجديدة ويستثمروا ما وجد وسيوجد من المال في مورد دخل ثابت كما يلزمهم أن يتأكدوا من أن الإنفاق يجري على سبيل الاقتصاد. وفي الوقت نفسه يحسن بهم أن يتصلوا بالجمعيات الخيرية داخل سريلانكا وخارجها ليحصلوا منها مساعدات مالية.

الالتحاق

مر بنا أن المدارس العربية وإن اتفقت في جل شروط الالتحاق تختلف في بعضها نحو تحديد العمر والسنة التي درس فيها التلميذ أخيرا في المدرسة الحكومية بينما لا تراعي بعض المدارس هذين الشرطين. والتلاميذ في الفصل في معظم المدارس مختلفون في العمر والسنة التي تلقوا فيها أخيرا في المدرسة الحكومية. وهذا يوجب جمع تلامذة غير مستوين في قوة الإدراك والذكاء في فصل. فيصعب تدريسهم معا تمشيا مع مستواهم الذهني والذكائي الذي هم فيه متباينون.

فعلى المدارس أن تراعي استواء الطلبة في العمر والسنة التي تلقوا فيها أخيرا في المدرسة الحكومية كما يحسن بها أن تتفق في هذين الشرطين كما تتحد في سائر الشروط.

المنهج الدراسي

لا بد أن يهدف التعليم إلى النمو المتوازن لشخصية الإنسان الكاملة بوساطة تدريب نفسه وذكائه وعقله ومشاعره وحواسه. فيلزم أن يؤدي التعليم إلى تنمية الإنسان في جميع الجوانب النفسية والذكائية والخيالية والبدنية والعلمية واللغوية تنمية خاصة وعامة. وكذلك ينبغي أن يفضي بهذه الجوانب إلى الجودة والكمال.

والمنهج الدراسي الذي تسير عليه المدارس السريلانكية في تعليمها منهج تعليم مرت عليه قرون. وعرفه العلماء الهنديون الذين كانوا سببا لإنشاء المدارس العربية في الجزيرة. وفي الحقيقة كان هذا المنهج الدراسي سائدا في المدارس العربية بالهند. وقد صاغه وطبقه السيد ملا نظام الدين في المعهد العلمي "دار العلوم" الذي أسسه في بارانجيماهال (Parangimahal) بلكنو (Lacknow) بالهند عام 1693م. ويشتهر هذا المنهج الدراسي بـ" الدروس النظامية". وهذا المنهج الدراسي الذي جاوز ثلاثة قرون واضحة

لا يزال يتبع في المدارس العربية الهندية والسريلانكية معا مع يسير من التغيير والتعديل على امتداد العصور. ولقد كان هذا ملائما للقرون السابقة للقرن العشرين. وأما الآن فلا، إذ منهج التعليم يلزم أن يكون طبقا لمتطلبات العصر.

فلنحاول هنا أن نلقي نظرة إلى شوائب المنهج الدراسي الحالي:

أ - المقررات التي تدرس حسب هذا المنهج الدراسي محررة قبل قرون إلا بعضها. ومعظمها لم تكتب على طراز المقررات، لأنها لا تتضمن التمرينات. وبعضها تكاد تعد مراجع. وبعضها لا تتمشى مع مستوى أذهان التلاميذ. وبعضها الآخر بعيد عن الأسلوب الميسر للدراسة. وبالجملة قل إنها خارجة عن حد المقررات.

ب - عدم إدراج مواد لازمة ترتبط بالشريعة واللغة العربية في منهج التعليم مثل القراءات السبع والفقه المقارن والفرق والأديان والعروض والقافية.

ج - خلو منهج التعليم من اللغات الإنكليزية والسنهالية والتاملية والمواد العامة مثل الحساب والعلوم الاجتماعية مما يعتبر مواد مهمة لا يستغنى عنها في هذا العصر الذي نحن عليه الآن.

د - عدم إدراج علم من العلوم المهنية.

هـ -عدم تدريس المواد التي يحتوى عليها منهج التعليم على المستوى المنشود.

فجدير بنا بل يجب علينا أن نسعى في تصفية منهج التعليم من هذه الشوائب. أما بالنسبة إلى المقررات على الصفات المشار إليها آنفا فمن الممكن أن نخرجها من المنهج الدراسي وندمج بدلها مقررات روعي فيها حالة التلميذ الذهنية والذكائية وسهولة التعبير وتدرج المعلومات من السهل إلى الصعب ووضوح الأسلوب في أداء المعنى المقصود وانسجام الموضوعات والفصول وترتيب الجزئيات ترتيبا محكما منسقا كما تشمل التمرينات في كل وحدة. والمقررات المتداولة بالمعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية قمنة بالوفاء بهذا الغرض.

وكذلك يلزم أن يدرج في منهج التعليم المواد اللازمة مثل القراءات السبع والفقه المقارن والأديان والفرق والعروض والقافية. أليس من الشقاء أن يتخرج الطلاب غير مزودين بالقراءات السبع ولهم إلمام واسع بالتفسير وأصوله؟ وهذا علم متصل بالقرآن المجيد اتصال الروح بالجسد. وإن لم يدرس الفقه المقارن تخرج الطلاب لا يعرفون إلا المذهب الشافعي ولا يحيطون بنطاق الفقه الكامل علما ولا يعلمون منشأ الخلاف بين الأئمة ولا أسبابه ولا القواعد والمبادئ التي ساروا عليها في استنباط الأحكام.

ولا بد للعالم الذى يعرف ويدعي أن الإسلام حق وأن مبادئه لا يخالف بعضها بعضا وأن أحكامه وتوجيهاته مسايرة للأزمنة الثلاثة ولجميع الأمكنة ولجميع الناس أن يكون على بصيرة تامة ببقية الأديان الداحضة. وعند ما يعرف ماهية الأديان الباطلة يرسخ الإسلام الحق في قلبه. وبضدها تتميز الأشياء. والعالم الداعية يشرح الإسلام ومبادئه للآخرين مع الأدلة الثابتة. وفي مثل هذا الوضع ربما يلقي عليه الأجنبيون أسئلة على أساس مبادئ دينهم وتوجيهاته. فليس له أن يتسلل منهم لواذا دفعا للإجابة عنها جانبا. وإن كان لديه علم واسع بسائر الأديان سهل عليه أن يسكتهم بأجوبة شافية. فعلى المدارس العربية أن تعتني بتعليم الأديان المتبعة في سريلانكا على الأقل.

بينما تلقي المدارس بالها إلى تدريس الشعر من الأدب العربي تضرب صفحا عن العروض والقافية؛ العلم الذى يهتدى به إلى قرض الشعر. ومن الممكن أن يدمج هذه المادة مع الاستعانة بالمقررات الحديثة الميسرة الصادرة في هذه الأيام.

ويحزننا كل الحزن ألا تولي المدارس الإنكليزية عنايتها. ومما لا مجال للخلاف فيه أن الإنكليزية لغة تسود العالم في الاتصال وتحظى بمكانة عظيمة داخل سريلانكا. وهي أسرع من سائر اللغات في نقل المعلومات العلومية والتقنية. وقد استخدمها أعداء الإسلام وألفوا كتبا تشوه صورة الإسلام وتظهر خلاف حقيقته بوساطة هذا اللسان كما يستعين به المستشرقون والمبشرون والملحدون الذين يسعون في القضاء على هذا الدين الحنيف وإهالة التراب عليه سعى الظمآن للماء. ولكن طائفة العلماء تقف عاجزة عن القيام بحركة ضدهم ودحض حججهم الباطلة ومبادئهم الضالة بنفس اللغة، لأنهم لا يجيدون هذه اللغة التي أصبحت مطية الفكر خيره وشره. فلا بد للمدارس أن تقوم بتعليم هذه اللغة ناوية نشر الوعى الإسلامي في العالم أجمع بعيدة عن الأغراض المادية.

وهنا نلفت النظر إلى السنهالية لغة الأغلبية في وطننا. وهي لغة تحتاج إليها للاتصال بها غالبا أينما سرت وحيثما حللت في سريلانكا. فدعت الضرورة إلى تدريسها وتدريب الطلاب على القيام بالدعوة الإسلامية مستعينين بها.

وأما التاملية فهي لغة الاتصال بين المسلمين السريلانكيين. وهذه خير واسطة لتعليمهم أحكام الدين وإرشاداته. وتلقى الخطب على المنابر والمحاضرات داخل المساجد وخارجها بهذا اللسان. فاقتضى الحال أن

تدرس هذه اللغة في المدارس بصفة حية ويعد التلاميذ لإلقاء المحاضرات والخطب وتأليف الكتب والرسائل وكتابة المقالات بها. ولله در القائل:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه = وتلك له عند الشدائد أعوان
فبادر إلى حفظ اللغات مسارعا = وكل لسان في الحقيقة إنسان

يجب أن تتأكد المدارس من أنه لا يفوت الطالب المعرفة بواقعه المعاصر وما يراد العالم من تطورات في العلوم والتقنية. وفي ضمن آيات القرآن الحكيم العلوم والكيمياء والطب والفلك والجغرافيا والحساب ونحوها. أمن المعقول أن يفهم الطالب التفسير فهما صحيحا أو كاملا وليس فيه إلمام بمقدمات هذه العلوم على الأقل؟ والذي لا يفهم الحساب كيف يحل مسائل الزكاة؟ وكيف يقسم التركة بين أصحاب الفروض؟ فهنا يتجلى لنا أهمية تعليم التلامذة العلوم والحساب والعلوم الاجتماعية وأشباهها.

وهنا يلزمنا أن نوجه عنايتنا إلى شئ آخر. وهو التعليم المهني. والعالم المتخرج في المدرسة سيقوم بأعباء الدعوة الإسلامية ويتفرغ لها وهو متحمل لنفقات نفسه ونفقات من يمونه. فيجب أن يشتغل بمهنة يغتلها. فدور المدارس أن تعلم طلابها علما من العلوم المهنية خلال دراستهم فيها.

هناك مواد مدرسة لا يكترث بتعليمها على الوجه المطلوب إما لعدم توافر الأساتذة الذين علا كعبهم وطال باعهم في المواد المتعلقة وإما لعدم توافر المقررات اللازمة. فعلى المدارس أن تتخذ الترتيبات اللازمة للتمتع بنخبة من الأساتذة المخلصين الراسخين في العلم وتعطي القوس باريها وتجتهد في تحصيل المقررات اللازمة باستيرادها من الدول الإسلامية العربية كالمملكة العربية السعودية.

طريق التدريس

لقد مر بنا بيان واضح عن طريق التدريس المتبع حاليا في المدارس العربية وقدمه وعدم مواكبته لمستوى الطلاب الذهني وفشله وما إلى ذلك. فلو اتخذت المدارس الخطوات التالية لانجبر هذا النقصان كما نعتقد إن شاء الله العلي القدير:

أ) اتخاذ التدابير اللازمة لتدريب المعلمين بوساطة الأساتذة المدربين العاملين في الجامعات وأقلام التربية.
ب) الاعتناء بطريق التعليم الميسر الحديث وإلزام المدرسين بالتدريس سيرا على هذا الطريق.

ج) الاستعانة بوسائل التعليم حتى الراديو والتلفاز والمسجلة والحاسب الآلي.

د) تشجيع المدرسين على دراسة علم النفس التعليمي وأساليب التدريس.

ه) كون المدرس على معرفة تامة بطبيعة التلميذ وسلوكه وخلفيته وذهنه ونحوها وتعليمه وتربيته حسب ذلك.

و) تحضير المدرس نفسه لدروس الغد تحضيرا كاملا.

ز) وضع المدرس المنهج الدراسي لديه.

ح) وضع المدرس الخطة الدراسية معه.

ط) وضع المدرس الملحوظات الدراسية عنده.

ي) استخدام اللغة العربية في التدريس كواسطة التعليم المهمة.

وإن اتخذت المدارس هذه الخطوات الحاسمة وصلت بإذن الله جل ثناؤه إلى النجاح في عمليتها التعليمية. وإلا فعمليتها التعليمية خائبة والمدرس أيضا فاشل يحول العملية التعليمية إلى تمته موحش ويجعل غرف الدراسة غرفا منفرة. وتتوقف العملية التعليمية على أمرين أساسيين: مراعاة المستوى الذهني للتلاميذ وتنمية قدراتهم العقلية والنفسية والجسمية بما يوجهها توجيها قويما إلى الرشاد والخير.

ولينتبه كل مدرسة إلى أن تربية الأولاد وتعليمهم أمر عظيم له شأنه الكبير وخطره الجسيم في حياتنا الدينية والاجتماعية. فهم قوة المجتمع الكبرى ودعائمه التي يقوم عليها. وعليهم يتوقف رقيه وتقدمه لأن أطفال اليوم هم قادة الغد. فهم أمانة في أعناق المدرسين ووديعة في أيديهم.

الشـــهـــادة

أما الشهادة التي تمنحها المدارس العربية خريجيها فغير معترف بها من قبل الحكومة السريلانكية اعترافا كاملا. فكيف بها خارجها؟ ولهذا تأثيره السئ في معاشهم وفي مواصلة دراستهم العليا في الجامعات الداخلية والخارجية.

فعلى المدارس العمل على نيل هذه الشهادة مكانها اللائق تحت الشمس حيث تفاوض الحكومة وتعرض عليها حالاتها التعليمية وإنتاجاتها وإنجازاتها ومكانتها في المجتمع وشعبيتها الكبيرة لديه و... و... و...

ونود هنا أن نهيب بالجامعات الخارجية لا سيما الإسلامية ونناشدها بجم التواضع أن تعترف بشهادة المدارس العربية السريلانكية وتفتح أبوابها لحامليها لمواصلة دراستهم العليا فيها وألا تنساهم في منحها الدراسية.

المكتبة

لكل شيء قلب. وقلب المعهد العلمي مكتبته. وعظم المكتبة حسا ومعنى يدل على عظم معارف تلامذة وأساتذة المعهد. فلا بد لكل مدرسة أن تعتني بإنشاء مكتبة متكاملة وإجرائها على خير وجه يضمن للجيل الناشئ مستقبله علميا وعمليا وفكريا ودعويا وتربويا ويروي كل عاطش يردها ويرشد الباحثين إلى مظان نقاط بحوثهم. فالمكتبة المتكاملة تعني أن تكون حافلة بالمراجع والكتب، عامرة بالرسائل والصحف والدوريات، مزينة بالآلات السمعية البصرية والحاسب الآلي.

إن المدارس إذا خلت من مكاتب مجهزة بما مر ذكره آنفا فتلاميذها في ظلام حالك، محرومون المعارف العامة. والدنيا كلها مظلمة أمامهم.

فعليها أن تقوم بالجهود الجدية لتوفير مكاتب على هذه الصفة وتخصيص مبلغ من ميزانيتها السنوية لها والاستعانة بالجمعيات الخيرية للحصول على مساعدات عينية ونقدية منها والاتصال بالمكاتب الكبيرة التي تتبرع بما لديها من المجموعة الزائدة.

المرافق العامة

مبنى واحد أو اثنان أعز شيء يعتز به مدرسة عربية في سريلانكا. والمبنى كله في فدان أو أصغر منه. فالمسجد والمكتب وحجرات الدراسة وغرف المدرسين والمهجع والمطعم والمطبخ هذه كلها كلمات لا مدلول لها في كثير من المدارس. فقاعة واسعة تستعمل غرفا للدراسة ومطعما ومهجعا وقاعة اجتماع. سبحان الله. وليس لها ملعب يروح أبدان التلاميذ المتعبين من أول اليوم.

نعم، لو أدلى أهل المدارس بسبب لهذا مشيرين إلى قلة المالية فذلك غير مقبول تماما، إذ كان لهم أن يتخذوا الترتيبات اللازمة لإيجاد هذه المرافق قبل أن يخوضوا غمار المدارس. والمبنى الذى لا يريح الساكنين

يوصلهم إلى أضرار صحية. وإن لم يكن للتلامذة ميدان للرياضة البدنية عانوا أضرارا عقلية وبدنية كما هو مقرر ومجرب في الأوساط العلمية والطبية. وهناك مثل شهير "العقل السليم في الجسم السليم".

فأمام المدارس مهمة لا ترد. وهي أن تفكر في هذا وتعمل على إيجاد المرافق العامة دون بطوء. وكذلك ليتنبه الجميع إلى حقيقة أن إنشاء المدارس مجردة من المرافق العامة غير معقول.

النشاطات

بحمد الله سبحانه تنهض المدارس العربية بنشاطات لا بأس بها. ولكن هناك نقص. وهو أن هذه النشاطات غير مخططة. والأساتذة - مع الأسف - يهملون واجبهم نحو هذا. فعليهم أن يرشدوا طلابهم إلى عملية التخطيط وترتيب البرامج واختيار الموضوعات للخطابات مواتية لهذا العصر؛ عصر النهضة العلمية وغزو الفضاء. وكذلك يعرفونهم برامج تعد فيهم القوة الكافية لمواجهة التحديات المعاصرة وتوجد فيهم صفات القيادة نحو المناقشة الفئوية والمناظرة الجماعية. ولا شك أن سيكون لهذا كله نتيجته العملية الملموسة إن شاء الله تعالى.

ومما يتأكد الاعتناء به إذ نتحدث حول النشاطات الرحلة العلمية. وكثير من المدارس لا يهتم بها. وليس العلم ما يؤخذ من بطون الكتب فقط. وهناك طرق ووسائل لتحصيل العلم. والخروج بالأولاد من قاعة الدراسة وتعريفهم ما حول الإنسان من مخلوقات الله عز وجل وقدرته التي أودعها إياها وتمتيعهم بجمال الطبيعة هذا كله يخلق فيهم معرفة جديدة بما رأوا وسمعوا ويهبهم فهما زائدا لما تلقوا من الكتب في غرف الدراسة.

الـخـتـام

لقد ألقينا النظر حتى الآن إلى نشأة وتطور المدارس العربية بسريلانكا ونظام التعليم المدرسي ودور المدارس في التربية والتعليم ودورها في نشر علوم الشريعة واللغة العربية ماضيا وحاضرا كما سلطنا الأضواء على المشكلات التي تثبطها عن المضي قدما وقدمنا إيعازات كحلول لمشاكلها ووسائل يتوسل بها إلى تهذيبها وتطويرها في المستقبل.

نسأل الله جلت قدرته أن يوفق المدارس العربية لتخريج علماء مدرعين بالعلم مسلحين بالأخلاق الفاضلة قادرين على مواجهة التحديات الحديثة عاملين على نشر الوعى الإسلامي في ربوع العالم بكل شجاعة وجسارة وإخلاص. وهو ولي التوفيق وعلى كل ما يشاء قدير.

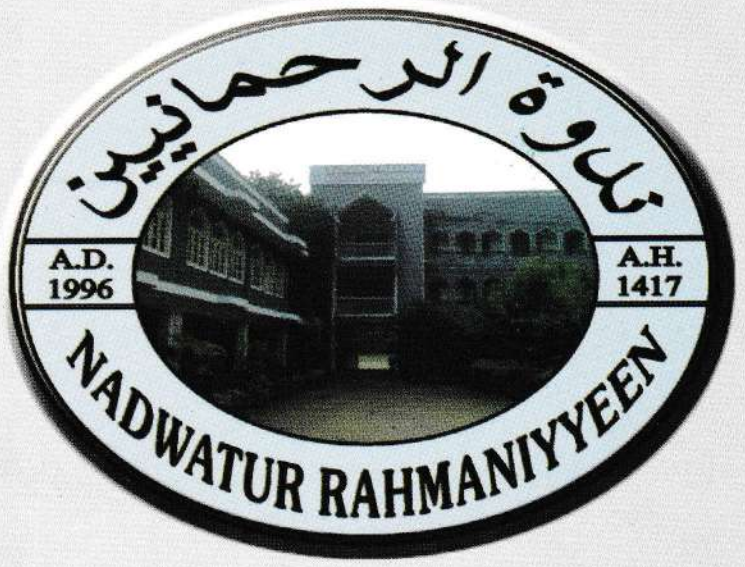

ندوة الرحمانيين
الجامعة الرحمانية

شارع دونوويلا،
أكورانا، سريلانكا

0094 77 22 60 525